بَيعَة الغَدير في شِعرِ جَبل عَامل

الشاعرُ إبراهيم بن يَحيى العاملي اخْتِياراً

الاستاذ المساعد الدكتور حسين لفته حافظ / مركز دراسات الكوفة

والاستاذ المساعد الدكتور عواد كاظم/ كلية الآداب/جامعة ذي قار

المقدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبي الهدى الصادق الامين وآل بيته الطيبين الطاهرين وبعد...

فقد امتاز شعر جبل عامل الذي قيل بحق اهل البيت عليهم السلام بخصوصية ميزته عمن سواه من الاشعار التي قيلت بحق العترة الطاهرة ، وتأتي هذه الميزة من العاطفة الصادقة المخلصة لحب اهل البيت ، فضلا عن هذا انماز هذا النوع من الادب بالالتزام ، والمقصود به ان الشعراء كانوا يسخرون كل طاقاتهم الفنية لخدمة قضية اهل البيت ، وما تعرضوا له من ظلم وجور خلال هذه السنوات الطويلة ، وشاعرنا موضوع الدراسة من الشعراء الذين تناولوا كل ما يتعلق باهل البيت عليهم السلام من مناقب ومفاخر ومآثر ومصائب حلت بهم كل ذلك تناوله بأبيات شعريّة طافحة بالتصوير الفني ، وما زال شعر الغدير يفيض على الدنيا بعطاءه مستمدا من صاحب الغدير ينبوعه وعزيمته ، وشاعرنا الشيخ إبراهيم بن صادق العاملي، شاعر وأديب ورجل دين شيعي من جبل عامل ، وقد كان أديبا وشاعرا وعالما فاضلا من تلامذة السيد علي محمد الأمين مكث في النجف فترة طويلة، تتلمذ فيها على عدد من العلماء منهم ([1]): الشيخ حسن بن جعفر آل كاشف الغطاء والشيخ مهدي بن جعفر آل كاشف الغطاء والشيخ مرتضى الأنصاري. ترجم له جواد شبّر في أدب الطف فقال:" كان من العلماء الافاضل، خفيف الروح"([2])

وكتب السيد حسن الأمين عنه فقال:" وآل صادق من أشرف بيوت العلم في جبل عامل وأعرقها في الفضل والأدب نبغ فيهم أعلام في الفقه والشعر لم تزل آثارهم غرة ناصعة في جبين الدهر ولا سيما شعراؤهم الأفذاذ الذين طار صيتهم في

[1] - أعيان الشيعة - السيد محسن الأمين - المجلد ٧ - صفحة ٣٥٧ - رقم الترجمة ١٢٨٥

[2] - ينظر ادب الطف :١٧٦/٧.

الآفاق، وكانوا يعرفون قبل الشيخ صادق بآل يحيى نسبة إلى جدهم الذي كان من صدور علماء عصره وأدبائه "([3]). توفي رحمه الله في العام ١٢٨٤ هجرية .

ومن القصائد الخالدة التي اشارت وبوضوح تام الى بيعة الغدير قصيدته الميميّة التي قال فيها :

يا للرجال لجرح ليس يلتئم عمر الزمان وداء ليس ينحسم
حتى متى أيها الأقوام والأمم الحق مهتضم والدين مخترم
وفيء آل الرسول مقتسم

أودى هدى الناس حتى إن أحفظهم للخير صار بقول السوء لفظهم
فكيف توقظهم إن كنت موقظهم والناس عندك لا ناس فيحفظهم
سوم الرعاة ولا شاء ولا نعم

يا ليت شعري أيدري من تعرقني بعذله وبطوق الهم طوقني
ونام عن ليل أو صابي وأقلقني أني أبيت قليل النوم أرقني
قلب تصارع فيه الهم والهمم

ألقى الليالي وقد آلت غياهبها أن لا تروح ولا تغدو كواكبها
بهمة يستبيح الهم قاضبها وعزمة لا ينام الليل صاحبها
إلا على ظفر في طيه كرم

قالوا أيرضى له عادي منصبه بصون صارمه الماضي وسلهبه

[3] - أعيان الشيعة - السيد محسن الامين - المجلد ٢- الترجمة رقم ٢٤٦ - صفحة ١٤٤.

فقلت كلا أمري غير مشتبه   يصان مهري لأمر لا أبوح به
والدرع والرمح والصمصامة الخذم

وسابقات جياد ليس يفضحها   مهارها يوم مجراها وقرحها
لنا ذراها وللأعداء مذبحها   وكل مائرة الضبعين مسرحها
رمث الجزيرة والخذراف والعنم

تالله إن بني العباس قد كفروا   يا ويلهم نعم الباري وما شكروا
فكم عمود لفسطاطا الهدى   كسروا يا للرجال أما الله منتصر
من الطغاة وما للدين منتقم

تعرقوا آل حرب ف وجارهم   حرصاً على الملك لا أخذاً بثأرهم
وأصبحت خيفة من صر نارهم   بنو علي رعايا في ديارهم
والأمر يملكه النسوان والخدم

مفرقين فلا دار مجمعةٍ   وخائفين فلا أمن ولا دعة
فكيف تعذب لصادين مشرعةٌ   والأرض إلا عرى ملاكها سعة
والمال إلا على أربابه ديم

يا للحمية هذا الحادث الجلل   أيصبح العل للأوغاد والنهل
وعترة المصطفى والسادة الأول   محلئون فأصفى شربهم وشل
عند الورود وأوفى وردهم لمم

فقل لأعدائها اللائي تحاربها على العلى وهو تاج لا يناسبها
ويزدهي من حواها وهم غاصبها للمتقين من الدنيا عواقها
وأن تعجل منها الظالم الأثم

لقد فشا في بني المختار نسكهم كما نشا في بني العباس إفكهم
فقال من كان لا يحويه سلكهم لا يطغين بنو العباس ملكهم
بنو علي مواليهم وإن رغموا

بنوا نثيلة لا والله ما لكم فخر على معشر كانوا جمالكم
لو أنقيتم وجانبتم ضلالكم أتفخرون عليهم لا أبا لكم
حتى كأن رسول الله جدكم

كانوا بدوراً بها الظلماء تنكشف وأبحراً بالندى راحاتها تكف
فكيف تحكونهم والحال مختلف وما توازن يوماً بينكم شرف
ولا تساوت بكم في موطن قدم

لم يحك سفاحهم لو جانب الخطلا زين الورى كلهم علماً ولا عملا
وليس منصورهم كالباقرين علا ولا الرشيد كموسى في القياس ولا
مأمونكم كالرضى لو أنصف الحكم

أفاضل ربهم الله فضلهم فاختارهم للهدى والعلم حملهم

وبالخلافة دون الناس يجلهم   قام النبي بها يوم الغدير لهم
واللضه يشهد والأملاك والأمم

فكان ما كان من تضييع واجها   بعد النبي ومن تأخير طالبها
إرثاً وحقاً ومن تقديم غاصبهاحتى   إذا أصبحت في غير صاحبها
باتت تنازعها الذؤبان والرخم

ما أحسنوا بولي الله ظنهم   فضيعوها وقد كانت مجنهم
وشاركوا حرهم فيها وقنهم   وصيرت بينهم شورى كأنهم
لا يعرفون ولاة الأمر أين هم

يا ليت شعري لا يدرون موقعها   أم لا يرون بعين العقل مطلعها
أم كافل الملة الغراء ضيعها تالله ما جهل الأقوام موضعها
لكنهم ستروا وجه الذي علموا

رياسة أظهرت للناس خبثهم وأهلكت نسل أقوام وحرثهم
فاجتاحهم عادل لم يرض مكثهم   ثم ادعاها بنو العباس إرثهم
وما لهم قدم فيها ولا قدم

إذا تمادى مجال الفخر وابتدرت   بنو علي إلا الغايات وافتخرت
رأيت منهم زرافات وإن كثرت   لا يذكرون إذا ما بيعة ذكرت
ولا يحكم في أمر لهم حكم

قالوا لنا الملك حقاً لا نجانبه يوماً وطالعه فينا وغاربه

وما ترعرع فيهم من يناسبه ولا رآهم أبو بكرٍ وصاحبه

أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا

قالوا الأئمة كانت غير غاصبةً   خلافةً ثم ثنوها بكافية

دعوى التراث سهام غير صائبةٍ   فهل هم مدعوها غير واجبةٍ

أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا

لقد نشرت على الدنيا صبابتكم   بغياً وروعتم فيها عصابتكم

كم حملتم على بعد صحابتكم أما علي فأدنى من قرابتكم

عند الولاؤة أن لم تكفر النعم

أولى أباكم وصنويه عطيته فضلاً وقلده بالعفو منته

وكم حدا لذوي الأرحام رحمته   أينكر الحبر عبد الله نعمته

أبوكم أم عبيد الله أم قثم

فكيف جازيتم عن فعله الحسن   بنيه خير الورى بالقتل والمحن

أيا عبيد الهوى في السر والعلن   بئس الجزاء جزيتم في بني حسن

أباهم العلم الهادي وأمهم

غادرتم القوم صرعى في فنائهم   وآية النوح تتلى في نسائهم

والله طالب وتر من ورائهم   لا بيعة ردعتكم عن دمائهم
ولا يمين ولا قربى ولا ذمم

تركتم خير أبناء لخير أب   فريسة المرهفين السمر والقضب
يا أشأم الناس من عجم ومن عرب   هلا صفحتم عن الأسرى بلا سبب
للصافحين ببدر عن أسيركم

صيرتم البغي والعدوان ديدنكم   ولو تحريتم الإحسان أمكنكم
فأبعد اللضه في الأزمان أزمنكم   هلا كففتم عن الديباج ألسنكم
وعن بنات رسول الله شتمكم

تصيح يا غيرة الإسلام زوجته   والفاطميات تبكيه وجثته
تحت السياط فيا لله حرمته   ما نزهت لرسول الله مهجته
عن السياط فهلا نزه الحرم

أشكو إلى الله أقواماً ما قد اصطلمت ذرية المصطفى ظلماً وما اجترمت
إليةً بالهدى يا عصبة ظلمتٍ   ما نال منهم بنو حربٍ وإن عظمت
تلك الجرائر إلا دون نيلكم

أراذل قال ذو جهل يعظمها   لقد ذكرتم أموراً لا أسلمها
فقلت والنفس يشفيها تكلمها   يا جاهداً في مساويهم يكتمها
غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتم

غداة نم به ذو إحنةٍ عرفت   في الناس من عهد آباء به سلفت
وحين ساق يميناً بالردى عصفت   ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت
عن ابن فاطمة الأقوال والتهم

ملكتموا فجرحتم كل جارحةٍ من الهدى بسيوف أي جارحة
يا عصبة للمعالي غير صالحة   كم غدرةٍ لكم في الدين فاضحة
وكم دمٍ لرسول الله عندكم

خالفتموا أمره في الآل والخلف   وقلتم نحن أهل المجد والشرف
ونحن آل نبي بالعهود وفي   أأنتم آله فيما ترون وفي
أظفاركم من بنيه الطاهرين دم

إن القرابة إن لم تحفظ الذمم   وجودها عند أرباب النهى عدم
يا ممسكين بحبل وهو منجذم   هيهات لا قربت قربى ولا رحم
يوماً إذا نصت الأخلاق والشيم

بل القريب الذي لم يكفر النعما   والأجنبي الذي لم يحفظ الذمما
لذاك يا شرحبيل في الورى علما   كانت مودة سلمان له رحما
ولم يكن بين نوحٍ وابنه رحم

تلطخوا بدم الهادي وبضعته حرصاً على الملك في الدنيا ورفعته

لذاك يا ويل وغبون بسلعته باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته

وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا

فلا رعى اللضه منهم أنفساً وردت موارد الغي إسرافاً وما اقتصدت

ولا سقى الله منهم أربعاً همدت يا عصبة شقيت من بعدها سعدت

ومعشراً هلكوا من بعد ما سلموا

لله كم من فؤاد للهدى جرحوا وزند شر تحاماه الورى قدحوا

قوم أصابوا لواء الملك وافتضحوا لا عن أبي مسلمٍ في نصحه صفحوا

ولا الهبيري نجى الحلف والقسم

ولا لواء الهدى في أهله عقدوا ولا معارج أرباب العلى صعدوا

ولا وفوا لذوي الإخلاص ما وعدوا ولا الأمان لأزد الموصل اعتمدوا

فيه الوفاء ولا عن عمهم حلموا

وراكب صير الوجناء مدركة وخدها لبني العباس مملكة

ناديته يا وقاك الله مهلكةً أبلغ إليك بني العباس مألكة

لا يدعوا ملكها ملاكها العجم

تبوؤها فما أبقوا لسائركم إلا منابر تشكو جور جائركم

تفاخرون بها يا ويل فاخركم أي المفاخر أمست في منابركم

وغيركم آمر فيها ومحتكم

أتفخرون إذا ما نابت الخدم   عنكم بعقد اللوا والبأس محتدم
والعرب تهدر بالعصيان والعجم   وهل يزيدكم في مفخر علم
وفي الخلاف عليكم يخفق العلم

كم تدعون العلى يا أيها الهمل   وما لكم ناقة فيها ولا جمل
كيف الفخار ولا علم ولا عمل   خلوا الفخار لعلامين إن سئلوا
عند السؤال وعاملين إن علموا

يزداد حلمهم إن نابت النوب   منهم وللعود عرف وهو يلتهب
شم الأنوف ملوك أمرهم عجب   لا يغضبون لغير الله إن غضبوا
ولا يضيعون حكم اللضه إن حكموا

عز يرى منهم أبعد النظرا   شمس الضحى ونجوم الليل والقمرا
ولا تزال وسل عن ذاك من خبرا   تنشى التلاوة في أبياتهم سحرا
وفي بيوتكم الأوتار والنغم

هم الهداة إذا زاغت قلوبكم   والمحسنون إذا زادت ذنوبكم
نصيبهم كل فضل لا نصيبكم إذا تلوا آية غنى خطيبكم
قف بالديار التي لم يعفها القدم

قلتم لنا إن تاج الملك فضلكم   على بني أحمد الهادي ويجلكم

فيا عداة الهدى ما كان أجهلكم منكم علية أم منهم وكان لكم
شيخ المغنين إبراهيم أم لهم

وأي فخر لقوم ما لهم وطر إلا السلاف وضرب العود والوتر
بل الفخار لقوم بالهدى ظفروا ما في منازلهم للخمر معتصر
ولا بيوتهم للشر معتصم

هم الأكارم لا تخفى مكارمهم ولا يهيم بغير المجد هائمهم
ولا نشد على سوء حيازمهم ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم
ولا يرى لهم قرد له حشم

وهو بنو المصطفى إن كنت تجهلهم وأكرم الناس أعراقاً وأفضلهم
وإن تسل أين مغناهم وموئلهم فالركن والبيت والأستار منزلهم
وزمزم والصفا والحجر والحرم

إن الكتاب الذي ما زال مرهفه يجني على كل شيطان ويتلفه
تثني عليه معانيه وأحرفه وليس من قسم في الذكر تعرفه
إلا وهم غير شك ذلك القسم

هذا لثناء وما وفيت مجدهم ولو كتبت بنور العين حمدهم
وقد تحققت إن الفوز عندهم فلا أخاف إذا أمسيت عبدهم
فالعبد يسلم إن ساداته سلموا

صلى الإله على أرواحهم وسقى   أجداثهم من غوادي فضله غدقا
ما أومض البرق في الظلماء وانطبقاعليه جفن الحيا المنهل واندفقا
دمع الغمام فبات الرضو يبتسم

الدراسة :

البناء الفني :

النص الشعري ابداع يحتاج الى قدرات خاصة لا يمتلكها كل انسان وحاله حال أي عمل ابداعي اخر ويرى بعض الدارسين([٤]) أنّ النص الشعري ((كيان تشكيلي قائم بذاته))(٤) والشاعر((هو معلم الدهشة والحيوية)) (٥) حيث((يحاول أن يخلق نوعاً من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي عن طريق ذلك "التوقيع "الموسيقي الذي يعد أساسياً في كل عمل فني))[٦]من جهة واستغلال الصورة المكانية لخلق هذا التوافق من جهة أخرى، وقد عقد أكثر من كاتب مقارنة بين فن الرسم وعمل الرسام من جهة وبين فن الشعر وعمل الشاعر من جهة أخرى لذلك فإننا حين نتحدث عن التشكيل في الشعر، لابد أن نميز بين "فن الكلمة "في أي شكل من أشكاله، من حيث انه فن زماني، كفن الموسيقى ،وبين الفنون المكانية الصرف، كالرسم والتصوير والنحت وما إليها، حيث إن اختلاف الأداة التي يستخدمها الشاعر(وهي اللغة) عن الأداة التي يستخدمها الفنان التشكيلي كالرسم مثلاً(وهي

[٤] - ينظر شعر عبد الله رضوان دراسة فنيّة : ١٠.
(٤)د.محمد صابر عبيد ،السيرة الذاتية الشعرية-قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية-دراسة نقدية:٤٥ .
(٥) محمد الأسعد ،مقالة في اللغة الشعرية :٩٢ .
(٦) د. عز الدين إسماعيل ،الشعر العربي المعاصر -قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية :١٢٤ .

الألوان والأصباغ وما إلى ذلك من مواد جامدة)هو الفيصل فيما يستطيع أن يحققه كل من الشاعر والرسام من تصاوير[٩] .

ولعل الملفت للنظر عند شاعرنا هو طول نفسه الشعري مع المحافظة على جودة النص دون الوقوع في التكرار او الحشو الممل او الاطالة الزائدة انما كان الشاعر يشد القارئ معه ويأخذه معه الى عالم التأثير من جهة البيان الشعري وربما يعود السبب الى غنى الموضوع الشعري الذي امد الشاعر بهذه الطاقة الايحائية التي اعطته زخما دلاليا كبيرا نتيجة تنوع وكثافة الاحداث التي يعالجها الشاعر في قصيدته ومن المسائل الفنية التي ساعدت على نجاح الشاعر نذكر :

مطلع القصيدة :

إنّ الكلمة الساحرة خير ما يعجب به العربي، فللكلمة البليغة سحرها وأثرها في نفس العربي الذي طالما أعجب بها. وشدَّته دلالتها اللفظية من تناسب حروف وموسيقى إلى دلالتها المعنوية. وشعرنا العربيُّ قاموس بلاغتنا، ودليل سحرنا وبه أعتزّ العربيُّ ووقف مزهوا. وتباهت به القبائل إلى أن جاء بيان الله في محكم آياته كترسيخ لسحر الحرف وأثره .وقد احسن الشاعر في اختياره لهذا المطلع الذي خرج فيه عما اعتاد عليه الشعراء من وقوف على الاطلال او تغزل بمعشوقة ليأتي لنا بمطلع صادم في قوله :

يا للرجال لجرح ليس يلتئم عمر الزمان وداء ليس ينحسم

فهذا المطلع يشتمل على اشد عبارات العتب والشكوى من الزمان من هذا الجرح الذي لا يلتئم وان طال الزمان فهو جرح ابدي سببه ما حصل لأهل البيت عليهم السلام وفي ذلك تأكيد على ان الظلم الذي تعرضوا له لازال مستمرا الى ان يشاء الله .

حسن التخلص :

يعرفه ابن أبى الإصبع : بأنه حسن الإنتقال من موضوع لآخر مع حسن الإتصال والربط بحيث تكون القصيدة منسجمة ومتماسكة رغم تعدد الأغراض بها ، وأشار إلى أن القدامى لم يكونوا حراصاً على هذا الوصل على عكس المتأخرين فقد

---

[٧] م.ن:١٢٩-١٣٥ .

أكثروا منه .والملاحظ على قصيدة الشاعر ابراهيم العاملي انه كان يحسن توظيف هذا الفن اذ انه كان ينتقل من موضوع الى اخر دون ان يشعر القارئ بذلك وكأنّ القصيدة عبارة عن قطعة متلاحمة الاجزاء، من هنا اجد صعوبة في تلمس الانتقال بسبب هذا التماسك الا ان العلامة الدالة هي الانتقال بين الاحداث هو الذي يشعر بحسن التخلص من معنى الى معنى آخر .

غرض القصيدة :

تنوعت الدلالات التي يقصدها الشاعر في قصيدته الا ان الرابط لها هو ذكر فضائل اهل البيت عليهم السلام وخاصة ما يتعلق ببيعة الغدير التي تعد بمثابة العيد لمحبي اهل البيت الذين يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ، من هنا اخذ الشاعر يسرد تفاصيل حياتهم وتضمينها اهم الاحداث التي مرت عليهم ، وما تعرضوا له من ظلم وجور مستعملا طريقة الاشارة واللمحة الدالة ، ومن التقنيات التي استعملها الشاعر توظيف المثل في النص الشعري والغاية تعزيز الحجة والهدف هو اقناع المتلقي والتأثير فيه نحو قوله :

كم تدعون العلى يا أيها الهمل   وما لكم ناقة فيها ولا جمل([٥])

اذا الشاعر هنا يستفيد من معنى المثل مخاطبا من يدعون العلى دون وجه حق .

ومن التقنيات الاخرى التي استعملها الشاعر تقنية المقارنة بين الامام علي عليه السلام وبين من ناصبه العداء ، لذا نجده يصف الامام بالهادي والشجاع والمحسن وصاحب كل فضل ، جاء هذا في قوله :

هم الهداة إذا زاغت قلوبكم   والمحسنون إذا زادت ذنوبكم

نصيبهم كل فضل لا نصيبكم   إذا تلوا آية غنى خطيبكم

اما اعدائهم فقد سلبهم الشاعر كل الصفات الحميدة ونعتهم بالغناء واللهو عن القرآن واي صفة اشد وايلاما من هذه الصفة .

[٥] - ورد هذا المثل في كتاب(المستقصى في امثال العرب) فقد ورد عن الزمخشري قوله : "لا ناقةٌ لي في هذا ولا جملٌ: ويروى: لا ناقتى في هذا ولا جملى، أي لا خير لي فيه ولا شر، وأصله أن الصدوف بنت حنش العدوية كانت تحت زيد بن الأخنس العدوى وله بنت من غيرها تسمى الفارعة كانت تسكن بمعزل منها في خباء آخر، فغاب زيد غيبة فلهج بالفارعة رجل عذرى يدعى شبثاً وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملاً لأبيها وتنطلق معها إلى ثنية يبيتان فيها، ورجع زيد عن وجهه فعرج على كاهنة اسمها ظريفة فأخبرته بريبة في أهله فأقبل سائراً لا يلوى على أحد وإنما تخوف على امرأته حتى دخل عليها، فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت: لا تعجل واقف الأثر لا ناقة لي في هذا ولا جمل! وسمع الحجاج بعضهم يقول ذلك فقال له: لا جعل الله لك فيه لا ناقة ولا جملا ولا حملا ولا رخلا! يضرب في التبرء عن الشيء " .

لغة الشاعر :

يتفق اكثر الدارسين على أنّ اللغة هي الأداة الإبداعية للشاعر، كما أنها ((المادة الأولية للأدب))(٦) وتكمن ابداعيتها عندما يحرفها الشاعر عن مسارها العام، ويستعملها في سياق فني تختلف درجاته ـ بحسب مقدرة الشاعر الفنية وثقافته الخاصة والعامة ـ بهدف جمالي مؤثر، يتضمن رسالة يروم نقلها إلى المتلقي، ولكنه ينقلها مموسقة مصورة، لذا تكون مؤثرة ايحائياً.

ويرى احد الدارسين (٧)انَّ الاستعمال الشعري للغة بهذا الاتجاه له شأن آخر ،إذ يجعل من اللغة ذات شخصية كاملة تنقل الأثر الفني من المبدع إلى المتلقي نقلا أميناً(٨)،بمعنى انها تنقل أحاسيسه وعواطفه وافكاره عندما يفكر ويحب ويكره ويغضب. والأفكار العميقة لا يمكن نقلها بأمانة إلا بالصور الفنية؛ والعواطف والانفعالات لا يمكن نقلها بأمانة إلا باستثمار الطاقات الموسيقية للغة، في المفردة وفي تآلفها مع سواها وانتظامها وزناً على بحر من البحور.

وتمتاز لغة الشاعر ابراهيم العاملي بانها لغة واضحة بعيدة عن التكلف والغموض فضلا عن فصاحتها وجمالها من خلال كونها تنسجم والغرض الذي يتحدث عنه الشاعر ويبدو ان السبب وراء استعمال مثل هذه اللغة يعود الى رغبة الشاعر في وصول المعنى الى قلب السامعين له ، لان شاعرنا وكما ذكرنا مسبقا صاحب رسالة تتمثل في بيان منزلة الامام علي عليه السلام ، واحقيته من خلال مانص عليه حديث الغدير الذي جسده الشاعر في قصيدته ، من هنا نجد شيوع الفاظ (النبي والهدى والخلافة والغدير والارث) وغيرها من الالفاظ ذات الصلة بموضوع القصيدة .

---

(٦) ينظر: في الأدب والنقد ،د.محمد مندور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(١٣١٧هـ ـ١٩٥٢م):١٧.

٧ ـ ينظر شعر رضا الهندي :١٦٦.

(٨) ينظر: الاسس الجمالية في النقد العربي، عرض وتفسير ومقارنة، د.عز الدين إسماعيل، دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط٣، ١٩٨٦م:٣٤٨.

الاساليب الفنيّة :

التصوير الفني :

الصورة الفنية مقياس من مقاييس نجاح القصيدة ومدى تاثيرها مرتبط بقدرة الشاعر على التصوير الفني ، هذا التصوير يحتاج الى قدرة على التخييل ، يستطيع من خلالها ايجاد علاقات غير مألوفة بين المفردات من خلالها تتكون الصورة إذ ((إن ترابط الصور داخل القصيدة بضرورة نفسية وفكرية محددة هي نفسها التي تجعل من الضرورة أن يعبر الشاعر بالصورة عن العلاقة بين الأشياء ومشاعره وتلك الضرورة هي أقوى من مجرد ادعاء انتظام الكلمات وفق أنماط وأشكال معينة))([٩]).ومن النماذج الشعرية التي استعمل فيها الشاعر اسلوب التصوير الفني قوله :

كانوا بدوراً بها الظلماء تنكشف وأبحراً بالندى راحاتها تكف

الشاعر هنا يصور اهل البيت على انهم البدور التي تكشف الظلماء وهذا التصوير يشتمل على معاني الجمال والبهاء والصفاء فالبدور تمتاز بارتفاعها الذي لا يناله احد كذلك اهل البيت عليهم السلام لا يستطيع احد ان يصل الى مكانهم السامي وعلو مراتبهم التي رتبهم بها الله سبحانه وتعالى ، فضلا عن هذا صورهم في الشطر الثاني من البيت الشعري على انهم البحر الذي لا يجف ويظل يزخر بالعطاء والكرم وفي هذا دلالة واضحة على سعة اخلاقهم وحلمهم .

الجمل الخبريّة والانشائيّة :

تنوعت الاساليب الفنيّة التي استعملها الشاعر في قصيدته بين جمل خبريّة وانشائية مستفيدا من طاقات اللغة في التعبير عن مضمون المعاني التي يقصدها ومن الامثلة على ذلك قوله :

ونام عن ليل أو صابي وأقلقني أني أبيت قليل النوم أرقني

لقد استعمل الشاعر الجملة الخبرية المؤكدة ليثبت لنا انه قليل النوم يعيش الارق بسبب ما يحمله من هم كبير سبب هذا الهم هو اغتصاب حق اهل البيت عليهم السلام وما مرّ عليهم من حيف وجور سببه اعداء الدين والانسانيّة .

اما عن الجمل الانشائيّة فقد كان لها نصيب في استعمال الشاعر فقد بدأ الشاعر قصيدته بأسلوب النداء في قوله :

[٩] - في الرؤية الشعرية المعاصرة: أحمد نصيف الجنابي، ١٣٦.وينظر : بناء الصورة في البيان العربي، كامل حسن البصير :١٤١.

يا للرجال لجرح ليس يلتئم

جاء الشاعر هنا بياء النداء وهي تستعمل عادة لنداء البعيد أو ما في حكمه وكذا لنداء المتفجع عليه أو المتوجع منه ، وكذا لنداء القريب فهي أم الباب، لها ما ليس لغيرها من الأحكام ، ونلاحظ مدى قصديّة الشاعر في هذا الاستعمال فهو يريد ان يظهر حجم التحسر والتوجع على ما حدث في واقعة الطف الاليمة لذلك كانت البداية حزينة وفيها دعوة لاستنهاض الهمم لان الحدث كبير والجرح عميق غير قابل للالتئام ، فيجب ان يكون التأثير كذلك بما يتناسب والواقعة الاليمة .

الاستفهام الاستنكاري :

اكثر شاعرنا من استعمال اسلوب الاستفهام المجازي الذي يخرج لغرض الاستنكار ، فالشاعر في اكثر استفهاماته لا يطلب جواب انما يريد ان يثير العقول ويبعث فيها الصدمة عسى ان تعود الى رشدها وتعرف حجم المسؤولية الملقاة على عاتقها انظر الى قوله :

حتى متى أيها الأقوام والأمم   الحق مهتضم والدين مخترم

وفيء آل الرسول مقتسم

فالملاحظ ان الخطاب موجه الى جماعة وصفهم بالأقوام وبدا بالقل ثم انتقل الى الاكثر وهم الامم فالقضية هنا قضية عالمية لا تنحصر بطائفة معينة انما تعني العالم باسره متمثلا بالأمم وهذا الكلام ينسجم والخطاب القرآني لنبي الرحمة (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ، اما لماذا هذه الدعوة لان الموضوع يتعلق ببضعة النبي صلى الله عليه واله وسلم انها الزهراء سلام الله عليها وبعلها سيد البلغاء علي بن ابي طالب عليه السلام ، ويأتي هذا الخطاب ايمانا من الشاعر بان الشعر في احد جوانبه يمثل الوسيلة الاعلامية المثلى لإيصال صوت الحق والعدالة لأنه يبقى صرخة مدوية في وجه الظلم والطغيان تتناقله الاجيال جيلا بعد جيل .

اسلوب الشكوى المجازي :

امتاز شاعرنا وبطريقة فنية جميلة ان يجسد الاشياء المعنوية من خلال محاولته نقل همومه بطريقة الشكوى الفنية التي تحاكي الهم محاولا تصويره بطريقة لا تخلو من براعة وقدرة في قوله :

يا ليت شعري أيدري من تعرقني   بعذله وبطوق الهم طوقني

ونام عن ليل أو صابي وأقلقني   أني أبيت قليل النوم أرقني

قلب تصارع فيه الهم والهمم

فهو هنا يستعمل التمني بالأداة ليت من خلال رسم صورة مجازية تصور العذل والهم وهي اشياء معنوية على انها اشياء محسوسة يمكن لمسها وكما حصل مع الهم فقد جعل منه طوقا يحيط به من كل جانب حتى قيده عن الحركة ، ثم يلحق ذلك كله شكوى مليئة بالمرارة ابعدت النوم عن عينيه وهنا شاعرنا يحاكي الشعراء القدامى في شكواهم وقلة نومهم وما يلحق ذلك من ارق ، ويبدو ان الشاعر كان يقصد الى تحسين اللفظ وتجميل المعنى من خلال الاهتمام بأساليبه الشعريّة فقد عمد شاعرنا الى استعمال اسلوب الجناس في قوله (الهم والهمم) وهو شكل من اشكال الاساليب البديعية الذي يحسن اللفظ ويكسبه صبغة جمالية .

السرد القصصي :

امتاز شاعرنا بقدرته الفنية على صياغة الاحداث بطريقة قصصية فنية من خلال استعمال اسلوب السرد القصصي ، وقد اجاد في ذلك من خلال تحويل الاحداث التي مر بها اهل البيت عليهم السلام الى ملحمة فنيّة خالدة مهما تعاقبت الاجيال ومرت السنين ، وقد كان شاعرنا يعتمد في سرده على فن الاشارة والايحاء وطريقة التصوير الموحى ، أي ان التكثيف هو السمة الابرز على هذا الاسلوب كذلك حافظ الشاعر على التسلسل المنطقي للأحداث وذلك بحسب اسبقية كل حدث منها .

الخاتمة :

وفيما يلي اسجل اهم النتائج التي توصل اليها البحث وهي :

اظهر البحث ان تعامل الشعراء مع بيعة الغدير كان تعاملا على نطاق واسع وقد امتد اثره ليصل الى تلك البقة التي هتفت بحب اهل البيت عليهم السلام وجسد شعراءها هذا الولاء بقصائد ومنها قصيدة الشاعر ابراهيم العاملي .

كشف البحث عن التزام الشاعر بنهج القصيدة القديمة من خلال البناء الفني الذي بدا بمطلع ومن ثم الغرض لينتهي بالخاتمة .

اكدّ الشاعر في قصيدته على مسألة انّ عيد الغدير هو اليوم الذي يعلن فيه الولاء للإمام علي (امير المؤمنين عليه السلام) انه وصي رسول رب العالمين وخليفته

وحامل سره وحامل لواءه من بعده في معية الاصحاب الكرام الذين واكبوه وحملوا معه هذا العبء وساندوه وآزروه. مشيرا الى ان عيد الغدير هو امر الهي بتبليغ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) انه قد صدر امر الهي بتنصيب الامام علي (عليه السلام) خليفة للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وحاملا للواء الاسلام بعده وموال للقران الكريم وحاميا لبيضة الاسلام بعد النبي (صلى الله عليه واله وسلم).

مصادر الدراسة

القرآن الكريم

١- الأسس الجمالية في النقد العربي،عرض وتفسير ومقارنة،د.عز الدين اسماعيل،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،ط٣ ،١٩٨٦م.

٢- أدب الطف، أو شعراء الحسين (عليه السلام) من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع عشر،جواد شبر، مؤسسة التاريخ العربي،(١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م). ،:١٧٦/٧.

٣- أعيان الشيعة، محسن الأمين ،تحقيق: حسن الأمين، دار المعارف،ط٥، (١٤٢٠هـ-١٩٩٤م).

٤- بناء الصورة في البيان العربي،كامل حسن البصير،المجمع العلمي العراقي،ط١،(١٤١٢هـ-١٩٩٢م).

٥- السيرة الذاتية الشعرية-قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية-دراسة نقدية، د.محمد صابر عبيد .

٦- الشعر العربي المعاصر -قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، د. عز الدين إسماعيل .

٧- شعر عبد الله رضوان دراسة فنيّة،ابراهيم مصطفى حمد ، كلية التربية ، جامعة تكريت .

٨- شعر السَّيِّد رِضَـا الهِنـديِّ (١٨٧٣-١٩٤٣م) دراسة في الموضوع والفن ظاهر محسن جاسم ، كلية الاداب جامعة الكوفة ،٢٠٠٧م.

٩- في الأدب والنقد ،د.محمد مندور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،(١٣١٧هـ -١٩٥٢م).
١٠- في الرؤية الشعرية المعاصرة: أحمد نصيف الجنابي .

١١- المستقصى في أمثال العرب لمحمود بن عمر الزمخشري منشورات دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الطبعة الأولى سنة ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
١٢- مقالة في اللغة الشعرية ، محمد الأسعد .